

دلائل الإعجاز

القولُ في النظم وفي تفسيره .

واعلم أن هاهنا أسراراً ودقائقَ لا يُمكن بيانُها إلا بعد أن نُعيدَ - جملةً من - القول في النظم وفي تفسيره - والمُراد منه وأي شيء هو وما محصوله ومُحصولُ الفضيلة فيه . فينبغي لنا أن نأخذَ في ذكره وبيانِ أمره وبيانِ المزيِّنةِ التي تُدعى له من أين تأتيه وكيفَ تعرِّضُ فيه وما أسبابُ ذلك وعِوَجُها وما المُوجبُ له .

وقد علمتَ إطباقَ العلماءِ على تعظيمِ شأنِ النظمِ وتفخيمِ قدره والتَّكْنُويهِ بذكره وإجماعهم أن لا فضلَ معَ عَدَمِهِ ولا قدرَ للكلامِ إذا هو لم يستقمْ له ولو بلغَ في غرابةٍ معناه ما بلغ . وبِتَّ هُهمُ الحكمِ بأنه الذي لا تمامَ دونَه ولا قِوامَ إلا به . وأنه القُطبُ الذي عليه المدارُ والعمودُ الذي به الاستقلال . وما كان بهذا المحلِّ من الشَّرَفِ وفي هذه المنزلةِ من الفضلِ وموضوعاً هذا الموضوعَ من المزيِّنةِ وبالغاً هذا المبلغَ من الفضيلةِ كان حَرِّى بأن توقَّظَ له الهِمَمُ وتُوكَّلَ به النُّفوسُ وتحرَّكَ له الأفكارُ وتُستخدمَ فيه الخواطرُ . وكان العاقلُ جَدِيراً أن لا يَرْضَى من نفسه بأن يجدَ فيه سبيلاً إلى مزيِّنةِ علمٍ وفضلٍ استبانةٍ وتلخيصِ حُجَّةٍ وتحريرِ دليلٍ . ثم يُعرضُ عن ذلك صَفْحاً وَيَطْوِي دونه كَشْحاً وأن يَرَبُّاً بنفسه وتدخلَ عليه الأَنَفَةُ من أن يكونَ في سبيلِ المقلِّدِ الذي لا يَبْتُ